

## الفصل الثالث

### البعث والحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس

#### المبحث الأول

##### البعث

هو إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء، من خير أو شر<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث، وتحقق وقوعه منهجاً قوياً يجمع بين ما فُطِرَت عليه النفوس من الإيمان، بما تشاهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة، وتلك الطريقة تميز بها القرآن الكريم<sup>(2)</sup>.

(1) الباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، د. محمد محمد الزبيدي، ص:

(2) دراسات في التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الألمي، ص: 302.

أولاً: الاستدلال بمن آماتهم الله ثم احياهم كما اخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم:

1 - قوم موسى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَلَكِكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: 55 . 56].

2 - المضراب بعضو من أعضاء البقرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِنَفْسٍ أَقْرِبِيهَا فَأَتَتْهَا نَفْسٌ فَأَخَذَتْهَا فِيهَا وَآلِلَهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهَا بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: 72 . 73].

3 - الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَعْيَاهُمْ﴾ [البقرة: 243].

4 - ما حصل لعزير، كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظَرَهُ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظَرَهُ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْمَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظَرَهُ إِلَىٰ الْعِطَابِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

5 - سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ ثَوَمِينَ قَالَ بَلَىٰ

وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ قَالٍ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: 260﴾ .

6 - ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام، من أنه كان يحيى الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَنْزَمَ وَأُنشِئُ الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ . . . . .﴾ [آل عمران: 49].

7 - ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف: 9-10].

إن هذه الأدلة المتقدمة أدلة حسية مادية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك<sup>(1)</sup>.

ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

(1) دراسات في التفسير الموضوعي، ص: 305.

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِنَسِيبٍ لَكُمْ وَنُقُرٍّ فِي  
 الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا  
 أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدِّدُ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ  
 لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا  
 الْمَاءَ آمَنَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ  
 الْمَلُوقُ وَالنَّهْيُ الْمَوْقُ وَأَنَّهٗ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ  
 فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: 5-7].

وهذه الآيات تعطي تفصيلاً للمراحل التي يمر بها خلق الإنسان، فقد قابل الله هذه المراحل بعدة دلالات على قدرته سبحانه على البعث، فالله سبحانه يبين للناس: إن كنتم في ريب من البعث، فليستم ترتابون في أنكم مخلوقون، وليستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها<sup>(1)</sup>.

إن هذه الآيات لها دلالة عقلية على البعث: إنها نقلة ضخمة بعيدة الأغوار والآماد، تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث وأن إنشاء الإنسان من التراب، وتطور الجنين في مراحل حياته، وانبعاث الحياة من الأرض بعد الهمود، كل ذلك متعلق بأن الله هو الحق، فهو من السنن المضطردة التي تنشأ من أن خالقها هو الحق الذي لا تختل سننه ولا تتخلف، وأن اتجاه الحياة في هذه الأطوار ليدل على

(1) إعلام الموقعين، لابن القيم، ص: 436.

الإرادة التي تدفعها وتنسق خطاها وترتب مراحلها، فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق، وبين هذا الاضطراب والشباب، والاتجاه الذي لا يحيد، وأن إحياء الموتى هو إعادة للحياة والذي أنشأ الحياة الأولى هو الذي ينشئها للمرة الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ليلاقوا ما يستحقونه من جزاء، فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق والتدبير، وإن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين، ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور، لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال، إذ أن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض، فهو يقف ثم يتراجع ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، فلا بد من دار أخرى يتم فيها تمام الإنسان، فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة، فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة، وهكذا تلتقي نوااميس الخلق والإعادة ونوااميس الحياة والبعث، ونوااميس الحساب والجزاء، تشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر، الذي ليس في وجوده جدال<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان، مثل السموات والأرض:

فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان، ومن الآيات الدالة ما يلي:

1 - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (4 / 2409 - 2411) باختصار وتصرف، الدلالة

العقلية في القرآن، د. عبد الكريم عبيدات، ص: 437.

جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَادِرٌّ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِّي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ [الإسراء: 98-99].

2 - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأحقاف: 33].

3 - وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿١٠١﴾﴾ [يسر: 81].

رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات ما يلي:

1 - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَفَقْنَاهُ لِبَدْرٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: 57].

2 - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١٠٢﴾﴾ [فاطر: 9].

3 - قال تعالى: ﴿وَمِن مَّا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمَجِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [فصلت: 39].

4 - قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَاتٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَعْتَابِ

وَرَزَعٌ وَيَخِيلُ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنَفِضِلٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد: 4]،  
 وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ أَيْدَا كُنَّا تَرْبَا أَيْنَا لَيْفَى خَلْتِي جَدِيدٌ﴾ [الرعد: 5].

5 - قال تعالى: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُعْزِزُ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: 5-7].

فجعل الله سبحانه إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات وإخراج النبات منها، نظير إخراجهم من القبور، ودلّ بالنظير على نظيره وجعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب:

- أ - وجود الصانع وأنه الحق المبين وذلك يستلزم إثبات صفات كماله وقدرته وحياته وعلمه وحكمته ورحمته وأفعاله.
- ب - أنه يحيي الموتى.
- ج - عموم قدرته على كل شيء.
- د - إتيان الساعة وأنها لا ريب فيها.
- هـ - أنه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الأرض<sup>(1)</sup>.

(1) إعلام الموقعين (1 / 144 - 145)، الدلالة العقلية، ص: 444.

6 - وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعُ نَضِيدٌ ﴿١٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِّثْنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١٣﴾﴾ [ق: 9-11].

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِّثْنًا﴾: يراد به الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراً، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس، أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث<sup>(1)</sup>.

خامساً: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر:

الشجر إذا قطع وأصبح حطباً يكون ميتاً وليس فيه أثر للحياة، فإذا أوقدت به النار دبت فيه الحركة واضطرب، وهذه آثار الحياة، فمن قدر على هذا قادر على إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل في موضعين من كتابه سبحانه:

1 - قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ مَا أَنْتُمْ أَنْشَاتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: 71-72].

2 - وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

(1) تفسير ابن كثير (4 / 222)، تفسير الطبري (21 / 55).

حَٰصِمٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنشَأْتَهُ تَرْقُدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴿بِسْمِ: [83-77].

فردٌ بهذه الآيات على من أنكر البعث بثلاثة أدلة عقلية:

أ - الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: 79].

ب - الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر: مع أنه أكثر بالضدية لأن الشجر إنما يكون أخضر إذا كان مليئاً بالماء، فمن قدر على إخراج النار من هذا الشجر الميت المليء بالماء قادر على إحياء الأموات من قبورهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنشَأْتَهُ تَرْقُدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: 80].

ج - الاستدلال بخلق السموات والأرض على خلق الإنسان: قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: 81، 82].

سادساً: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان  
البعث والجزاء:

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً ولن يتركهم سدى:

1 - قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: 115، 116].

2 - قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: 36].  
فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى  
ويترك في قبره سدى دون أن يبعث؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله،  
فكل شيء يصدر عنه سبحانه له حكمة تقتضيه<sup>(1)</sup>.

إننا نشاهد في حياتنا ظالمين ظللوا ظالمين حتى لحظة الموت،  
ولم يأخذ على أيديهم أحد، ومظلومين ظللوا مظلومين إلى آخر  
حياتهم، لم ينصفهم أحد، أفإن كانت الحياة هي نهاية المطاف،  
يكون هذا عدلاً وحكمة؟ وأين هي الحكمة في خلق حياة تجري  
أحداثها على غير مقتضى العدل، ثم تنتهي دون حساب؟

لذا يأتي التأكيد في القرآن على أن البعث ضرورة يقتضيها  
عدل الله وحكمته في مواضع عديدة من القرآن منها:<sup>(2)</sup>

3 - قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ

(1) فتح القدير، للشوكاني (5 / 342).

(2) الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة، ص: 448.

كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَحْيُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ [الجنابة: 21].

4 - وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿١٨﴾ [ص: 28].

5 - قال تعالى: ﴿أَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: 35، 36].

6 - قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿ص: 27﴾

سابعاً: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة،

أعظم الأدلة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وقد نوع تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس، وأكد في القلوب.

1 - ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً (بأن) أو (بان) واللام كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْيِبَهَا﴾ [طه: 15].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85].

2 - وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه

كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: 87]. ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ ① وَكُنُوبِ مَسْطُورٍ ② فِي رَقٍ مَشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّفِينِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ [الطور: 1-8].

3 - وفي بعض المواضع يأمر رسوله بالقسم على وقوع البعث وتحققه وذلك في معرض الرد على المكذبين به المنكرين له كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: 7].

4 - وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد، كقوله تعالى: ﴿خَيْرَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَلْقَاهُ اللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: 45].

5 - وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُفِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿﴾ [آل عمران: 7-8].

6 - وأحياناً يخبر أنه وعد الصادق وخبر لازم وأجل لاشك فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لُهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٣٦﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ ﴿١٣٧﴾﴾ [هود: 103, 104].

7 - وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه ، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَمٌّ لَّهِ فَلاَ سَتَعْلَمُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [التحل: 1] (1).

8 - وفي مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم ويذم الآلهة التي يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [التمل: 64].

9 - وبيّن في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يعجز العباد ويذلهم سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْتَكُمُ إِلَّا كَنَفِيسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: 28].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ ﴿١٦٧﴾ بِلَى قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّى بِتَابِهِ ﴿١٦٨﴾﴾ [القيامة: 3، 4] (2).

ثامناً: قياس البعث على النوم:

فالنوم أخو الموت، بل هو مودة صغرى، فالله تعالى يتوفى الأنفس بالموت وبالنوم، فالقادر على إرجاع نفس النائم له بعد قبضها، قادر على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيم\_Sِكِّ النَّفْسِ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: 42].

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 346 ، 347 ، 348.

(2) المصدر نفسه، ص: 348.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»<sup>(1)</sup>، وعن جابر بن عبد الله قال: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها»<sup>(2)</sup>.

### تاسعاً: الفطرة تدل على البعث:

فإنه تعالى فطر الأنبياء على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر، لأن الله تعالى إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في فطرهم، ولذا فإن الإنسان يشاق إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف، ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتين بما قدمت يدها في الدنيا، وهذا مما يكسب زيادة إيمان بربه وبما جاءت به الرسل، فيقدم الأعمال الصالحة استعداداً بها ليوم الميعاد<sup>(3)</sup>.

### عاشراً: أسماء يوم القيامة:

وقد جاء الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم مفصلاً، وسمي بأسماء كثيرة وهذا يدل على تعظيم الشيء، كما هي العادة

(1) البخاري، ك الدعوات، رقم: 5955.

(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3 / 74)، رقم: 1087.

(3) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر علي، ص: 549.

عند العرب، فقد كانوا إذا عظموا شيئاً أكثروا له من الأسماء، ومن الأسماء التي ذكرت في القرآن ليوم القيامة، اليوم الآخر، ويوم الآزفة، ويوم البعث، ويوم التغابن، ويوم التلاقي، ويوم التنادي، ويوم الجمع، والحاقة، ويوم الحساب، ويوم الحسرة واليوم الحق، ويوم الخروج، ويوم الدين، والساعة والصاخة، والطامة الكبرى، والغاشية، والفرع الأكبر، ويوم الفصل، والقارعة، والمعاد، واليوم الموعود والواقعة، والوعد الحق، ويوم الوعيد، والوقت المعلوم<sup>(1)</sup>.

وأما عن صفات يوم القيامة، فقد وصف بأنه: عظيم، ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم ثقيل، ويوم كبير، ويوم محيط<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثاني

#### الحشر وأحوال يوم القيامة وأحوال الناس

أولاً: الحشر: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

\* قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِنْ رَبَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: 51].

\* وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لُّزَّ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: 45]

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 185 - 191.

(2) المصدر نفسه، ص: 192 - 193.

\* وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِئِرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: 47].

\* وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: 44].

\* وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

\* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: 5].

## 1 - مكان الحشر (أرض المحشر):

دل الكتاب والسنة أن أرض المحشر هي أرض الشام، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرَجُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

## 2 - صفة الناس في الحشر:

### أ - يحشر الناس حفاة عراة غرلاً:

حفاة: غير متنعلين، عراة: غير لابسين، غرلاً: غير مختونين،

(1) مجمع الزوائد (10 / 620) إسناده حسن.

فكما أن الإنسان يولد حاف عار أغرل فكذلك يبعث.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب! أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّزِيقُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]<sup>(1)</sup>.

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلاً». فقالت عائشة: فكيف بالعورات؟ قال: «لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه»<sup>(2)</sup>.

ب - الوجوه:

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111] أي: ذلت وخضعت<sup>(3)</sup>.

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2860.

(2) النسائي، ك الجنائز، رقم: 2083، بسند صحيح.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب، ص: 590.

## ج - الأبصار:

- قال تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القَمَر: 7].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا بَرَقَ الْأَبْصُرُ﴾ [القِيَامَةُ: 7]، أي اضطربت وجالت العين من الخوف<sup>(1)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النَّازِعَات: 8]، أي مضطربة سريعة الخفقان<sup>(2)</sup>.

د - أحوال الناس عموماً: يعرضون صفواً أمام الله تعالى: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 48].

\* لا يتكلمون: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [٢٥] وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْبَذُونَ [المرسلات: 35 - 36].

\* وأحياناً يتكلمون، قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآلَفْرَأَ﴾ [القِيَامَةُ: 10] يدل على أنهم يتكلمون، فكيف يتكلمون ولا يتكلمون؟

وهذا بحسب اختلاف الأوضاع، فيوم القيامة طويل، وفي موقف يتكلمون وفي موقف يصمتون.

(1) مفردات ألفاظ القرآن، ص: 119.

(2) المصدر نفسه، ص: 857.

والله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرِّحْنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿١٧٨﴾ [التَّبَا: 38]، فإثبات الكلام من الخلق يوم القيامة تبع لإذن الله لهم، ونفيه في الحالة التي لم يؤذن فيها<sup>(1)</sup>.

هـ - ذهول الناس وخوفهم وهلعهم: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾ [الحج: 1 - 2]، فإن كانت الأم المرضعة وهي أحرص ما يكون على ولدها تذهل عنه، فغيرها من باب أولى، وإن كان الطفل الصغير الذي لم يذنب بعدُ يخاف حتى يشيب عارضاه، فما بالك بغيره من الناس<sup>(2)</sup>.

و - تُنسى الأنساب: فكل إنسان مشغول بنفسه لأنه يأتي وحيداً قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101].

- قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: 93-95].

- وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا

(1) تفسير السعدي، ص: 446.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 235.

تَعْرَنَكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿ [لقمان: 33].

ز - يجثون على الركب: ﴿وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِعَةً كُلُّ أُمَّةٍ دَعَىٰ إِلَىٰ كَيْبِهَا الْيَوْمَ تُحْرَزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [العنكبوت: 28].

ح - يعرضون على الله لا يخفى منهم شيء: قال تعالى: ﴿بِوَيْدٍ مُّعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكَ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ [الحاقة: 18].

وغير ذلك من أحوال الناس<sup>(1)</sup>.

ثانياً: أحوال يوم القيامة:

يحدثنا القرآن عن أحوال ذلك اليوم التي تشده الناس، وتشدُّ أبصارهم، وتملك عليهم نفوسهم، وتزلزل قلوبهم، ومن أعظم تلك الأحوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض وجبالها، والسماء ونجومها وشمسها وقمرها<sup>(2)</sup>، ومن أحوال ذلك اليوم:

1 - دك الأرض ونسف الجبال:

قال تعالى: ﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَكَانَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ [الحاقة: 13].

[16].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ [الفجر:

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 235.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص: 100.

[21]، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم.

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝۱۴﴾ [المُزَّمَل: 14]، أي تصبح ككتبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه. وأخبر في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن، والعهن هو الصوف، كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝۹﴾ [المَعَارِج: 9]، وفي نص آخر مثلها بالصوف المنفوش: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝۵﴾ [القَارَعَةُ: 5].

ثم إن الحق تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال عن مواضعها، ويسوي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع ولا منخفض، وعبر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة، وبنسفها أخرى قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝۳﴾ [التكوير: 3].

﴿وَسَيَّرَتِ الْجِبَالُ كَأَنَّهُ سُرَابُ ۝﴾ [النبا: 20].

وقال في نسفها لها: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ۝۱۰﴾ [المُرْسَلَات: 10]. ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ۝۴۷﴾ [الكهف: 47]، أي ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض<sup>(1)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَسَتَلَوْنَا عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝۱۰۵ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝۱۰۶ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝۱۰۷﴾ [طه: 105 - 107].

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، الأشقر، ص: 103.

## 2 - قبض الأرض وطوي السماء :

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الرؤس: 67].

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: 104].

قال ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»<sup>(1)</sup> ومعنى الكلام: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب أي على الكتاب بمعنى المكتوب<sup>(2)</sup>.  
وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم<sup>(3)</sup>.

## 3 - تفجير البحار وتسجيرها :

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا آَلِمَاؤُا فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [الانفطار: 3] ، فجرت: فجر الله بعضها في بعض، وقيل: ذهب ماؤها، وقيل: اختلط عذبها بمالحها.

وقال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور: 6] ، وقال

(1) البخاري، رقم: 6947، مسلم، رقم: 2787.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 242.

(3) تفسير ابن كثير (3 / 199) بتصرف.

تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَاؤُ شَجِرَتْ ۝﴾ [التكوير: 6] ، أوقدت ، فصارت ناراً تضطرم، وقيل يبست<sup>(1)</sup>.

والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها في بعض فتمتلى؛ ثم تسجر فتصبح ناراً ثم يذهب ماؤها<sup>(2)</sup>.

#### 4 - Moran السماء وانفطارها:

قال تعالى: ﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝﴾ [الرَّحْمَنُ: 37]. فهي في أشد ما تكون من الوهن، وقال تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمٍ وَاهِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة: 16]. وذلك أنها تضطرب اضطراباً مهولاً، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝﴾ [الطور: 9]. تتحرك تحريكاً، هو تشققها تدور دوراً وقيل استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، ثم إنها تتشقق وتنفطر وتنفرج، قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وُحَّتْ ۝﴾ [الانشقاق: 1، 2]. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَقْفُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝﴾ [السماء مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝] [المزمل: 17، 18].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝﴾ [الانفطار: 1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝﴾ [المُرْسَلَات: 9].

وقال تعالى: ﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝﴾

(1) معارج القبول (2 / 212).

(2) المصدر نفسه (2 / 212).

[الرَّحْمَنُ: 37]. يعني الدهان، فشبّه السماء في تلونها بالدهن في اختلاف ألوانه وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج: 8]. وهو دردي الزيت<sup>(1)</sup>.

### 5 - تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم:

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: 1، 2]. قال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة: 8، 9]. خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه<sup>(3)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: 9]. فسره النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة» يعني مجموعان مظلمان<sup>(4)</sup>.

والنجوم والكواكب ينفرط عقدها فتنتثر ويذهب ضوؤها فتطمس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: 2]. يعني انتثرت<sup>(5)</sup>، وانفرط عقدها وتساقطت على أهل الأرض وهو كقوله

(1) تفسير ابن كثير (4 / 240).

(2) معارج القبول (2 / 213).

(3) المفردات للراغب، ص: 282.

(4) البخاري، رقم: 3028.

(5) المفردات للراغب، ص: 704.

تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: 2] . وقال تعالى: ﴿فَإِذَا  
النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ [المُرسلات: 8] . يعني ذهب ضوءها<sup>(1)</sup>.

## 6 - تبديل الأرض:

تبدل هذه الأرض وتتغير صفاتها ويكون عليها الحشر الأول ثم تذهب هذه الأرض تماماً يوم يحشر الناس لمكان الحساب أمام الجسر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: 48] . وجاء في الصحيحين عن سهل ابن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء<sup>(2)</sup> كقرصة النقي<sup>(3)</sup>، ليس فيه معلم لأحد<sup>(4)</sup>، ثم بعد ذلك تنتقل الخلائق إلى أرض الحساب»، وعن عائشة ؓ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ ، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»<sup>(5)</sup>، وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليكم يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 243.

(2) العفر: بياض يضرب إلى الحمرة.

(3) النقي: الدقيق النقي من الغش والنخال.

(4) البخاري، رقم: 6156.

(5) مسلم، رقم: 2791.

إن حدثتكم؟» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر...»<sup>(1)</sup>.

وبهذا يتضح أن تبديل الصفات في الحشر الأول إلى أرض المحشر عندما تنسف الجبال والمرتفعات وتسوى الأرض، فلا يبقى في تلك الأرض معلم لأحد، وأما ذهاب الأرض بالكلية ففي الحشر الثاني إلى أرض الحساب قبل جسر جهنم، والله تعالى أعلم<sup>(2)</sup>.

7 - سجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ونزول الملائكة:

بعد بعث الناس من قبورهم وحشرهم لأرض المحشر وحصول أهوال يوم القيامة وتبديل هذه الأرض وحشر الناس لأرض الحساب عند الجسر تنزل الملائكة صفوفاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمِّ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الفرقان: 25].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفُؤُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿ [النبا: 38-39].

والمقصود بالروح جبريل عليه السلام.

- وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [التحل: 33].

(1) مسلم، ك الحيض، رقم: 315.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 245.

ومن هذه الملائكة هنالك ثمانية منها تحمل عرش الرحمن ﷻ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: 17].

ويأتي رب العزة للفصل بين العباد: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرج: 22]. أي والحال أن الملائكة صفوفاً (1).

- وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: 210].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ؕ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؕ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: 30].

وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها ويؤتى بصحف الأعمال وبالشهود ويبدأ الحساب (2)، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزمر: 69، 70].

### ثالثاً: أحوال الكفار يوم القيامة:

تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم اختلافاً بيناً. وستحدث بإذن الله تعالى عن الكفار وغيرهم، فالذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة التي تحدثنا عن مشاهد القيامة يرى الأهوال العظام والمصائب

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 245.

(2) المصدر نفسه، ص: 246.

الكبار التي تنزل بالكفرة المجرمين في ذلك اليوم العظيم، فمن تلك الأحوال:

## 1 - ذلتهم وهوانهم وحسرتهم ويأسهم:

فمن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءَ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ۗ كَانَمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: 27].

- قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا أَحْسَنَ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِهَيِّرَةٍ عَلَىٰ مَا قَرَأْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ السَّادِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَاكْذَبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: 55، 59].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمِيًّا حِمِيًّا ﴿١٧﴾ يَصْرُوهُمْ يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَيْتِهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَجِّيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: 10، 14].

## 2 - اسوداد وجوههم وتغيرها<sup>(1)</sup>:

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: 106].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 251.

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَةٌ ۖ الْيَسِ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزُّمَرُ: 60].

3 - إحباط أعمال الكفار (1):

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: 39].

- وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23].

- وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْءُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: 18].

4 - فضيحتهم أمام الخلائق:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هُود: 18].

5 - تخاصم الكفرة في الموقف:

- قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزَّخْرَفُ: 67].

## أ . تخاصم العابدين والمعبودين :

في ذلك اليوم الرهيب يجمع الله المشركين ثم يأمرهم أن ينادوا شركاءهم فينكروا أن يكون لهم شركاء<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آئِنَ شُرَكَائِي قَالُوا ءَآذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَيْءٍ ﴿٤٧﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا لَمْ يَمِيزُ بَيْنَ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت: 47، 48].

- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَسْتُدْرِكُ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمُ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِن أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الزَّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُرًّا ﴿٤٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُوكَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ مِنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: 17 - 19].

## ب - تخاصم الأتباع مع القادة المضلين :

- قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ قَالُوا بَل لَّو تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَل كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٥٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰٓئِقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الصافات: 27 - 32].

## ج - تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك :

- قال تعالى: ﴿وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَتَاؤُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 253، 258.

كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ  
هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَهْدَيْتَنَا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِبِينَ ﴿٢١﴾  
[إبراهيم: 21].

د. تخاصم الكافر وقرينه:

- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا وَلَكِنْ كَانُوا فِي صَلَاتٍ غَيْرِ  
﴿٢٧﴾ قَالُوا لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ [ق: 27، 28].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ هو الشيطان الذي وكل به ﴿رَبَّنَا مَا أَطَقْتُهُ﴾،  
أي: يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه  
فيقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَطَقْتُهُ﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل  
معانداً للحق<sup>(1)</sup>؛ فإذا سمع الكافر هذا من قرينه تحسر وتندم، قال  
تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾  
وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ  
يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ [الزخرف: 36-38]<sup>(2)</sup>.

هـ. تخاصم المرء مع أعضائه:

ويبلغ الأمر أشده والمخاصمة ذروتها عندما يخاصم المرء  
أعضائه:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾  
حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(1) تفسير القرطبي (17 / 22).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 267.

﴿٦٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَعَكُمْ وَلَا أَبْصَرَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ [فضلت: 19-22].

## 6 - مقتهم لأنفسهم:

والمقت أشد البغض، فنصل كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم لأقصاها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتُكْفَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: 110].

## 7 - صفة حشر الكفار إلى النار:

### أ - حشرهم وهم عطاش:

- قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨١﴾﴾ [مریم: 86].  
يعني عطاشاً تكاد تنقطع رقابهم من العطش، وفي قوله: ﴿وَسَوْفَ﴾ إشعار بآهانتهم كأنهم أنعام عطاش تساق إلى الماء<sup>(1)</sup>.

### ب - حشرهم عمياً صماً بكماً:

- قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمًى وَجُوهِهِمْ عَمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: 97].

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

(1) تفسير القاسمي (5 / 91)، اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 469.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٧٥﴾ [طه: 124، 125].

ج - يحشرون إلى جهنم على وجوههم:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُزَّكَاءٌ مَّا كَانُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الفرقان: 34].

د - حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب:

- قال تعالى: ﴿فَرَرْنَا لِنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مریم: 68].

قال القرطبي: أي ولنحشرون الشياطين قرناءهم، قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة، كما قال تعالى: ﴿وَأَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: 22]. والواو في ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى مع، وهي بمعنى مع أوقع، والمعنى أنهم يحشرون مع قرناءهم من الشياطين الذين أغووههم، يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة<sup>(1)</sup>.

وهذا الجثي مصاحب لهم في كل حال، ففي الموقف يوم يحشر الناس إلى أرض الحساب تجشوا كل الأمم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدُ بِحِشْرٍ الْمَبْتُورِينَ ﴿١٧٧﴾ وَرَأَىٰ كُلُّ أُتْمَةٍ جَانِبَهُ كُلِّ أُتْمَةٍ دُعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الجاثية:

[28، 27].

وفي النار كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ فِيهَا إِلاَّ بِرَبِّكَ حَتَّىٰ تَقْضِيَهُنَّ أَجْرًا ۖ وَلَنْ يَنْفَعَكَ فِيهَا إِلاَّ بِرَبِّكَ حَتَّىٰ تَقْضِيَهُنَّ أَجْرًا ۖ وَلَنْ يَنْفَعَكَ فِيهَا إِلاَّ بِرَبِّكَ حَتَّىٰ تَقْضِيَهُنَّ أَجْرًا ۖ وَلَنْ يَنْفَعَكَ فِيهَا إِلاَّ بِرَبِّكَ حَتَّىٰ تَقْضِيَهُنَّ أَجْرًا ۖ﴾ [مريم: 71، 72].

### رابعاً: أحوال عصاة الموحدين:

وهم المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فاتوا بشعائر الإسلام وأركانه ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي، وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة وجاء ذكر بعضهم على لسان رسول الله ﷺ وهذا المطلوب فيه مسائل:

#### 1 - الذين لا يؤدون الزكاة:

الزكاة من فروض الإسلام الكبرى وهي حق المال، فمن لم يؤد زكاته عُذِبَ بها في ذلك اليوم العظيم وقد أخبرت النصوص أن عذابهم على وجهين:

أ - يمثل لصاحب المال ثعبان أقرع له زبيبتان فيطوق عنقه ويأخذ بلهزمته صاحبه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَبْزُتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ [آل عمران: 180]. وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم كما فسرها بذلك النبي ﷺ، فقد قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمته - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا ﴿وَلَا

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴿١﴾ [آل عمران: 180] (١).

ب - إن كان الممتنع عن تأدية زكاته ذهباً أو فضة فإنها تصفح صفائح ثم تكوى بها جباههم وظهورهم وجنوبهم، فيحيط به الألم من كل مكان.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُودُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُرُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: 34، 35]. وقد فسر رسول الله ﷺ هذه الآية، فعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» (٢).

2 - ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزيكهم:

وقد رتب الله تعالى على كثير من الذنوب هذا العقاب فمنها:

أ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن الْكِتَابِ وَيُدْرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا

(1) البخاري، ك الزكاة، باب: إثم باب مانع الزكاة، رقم: 1338.

(2) مسلم، ك الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: 987.

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿البقرة: 174، 175﴾. فمن كتم - من علماء هذه الأمة - شيئاً من العلم إرضاءً لحاكم أو تحقيقاً لمصلحة شخصية أو طلباً لعرض دنيوي، كان مشابهاً لأحبار ورهبان اليهود والنصارى في كتمهم صفات الرسول ﷺ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء، وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(1)</sup>.

ب - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: 77]. وهي ليست خاصة باليهود، كما توهم بعضهم، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة<sup>(2)</sup>، فقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطاه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجل»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: 77]<sup>(3)</sup>.

(1) سنن الترمذي، رقم: 2649، وقال الترمذي: حسن.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 275.

(3) البخاري، ك التفسير، رقم: 4277.

## 3 - الغلول :

هو الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية دون علم أحد، وهو ذنب يخفي تحته شيء من الطمع والأشرة، وقد توعد الله تبارك وتعالى الغال بالفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد<sup>(1)</sup>:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلَّ وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161]. أي يأتي به حاملاً على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصوته، وموبخاً بإظهار خيانتة على رؤوس الأشهاد وقد فسر الرسول ﷺ هذا الإتيان للغلول يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً وقد أبلغتكَ، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك شيئاً وقد أبلغتكَ، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، أو على رقبته تخفق رقاع، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ»<sup>(2)</sup>.

## 4 - المتكبرون :

قال رسول الله ﷺ: «يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 276.

(2) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 2908.

وفي صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»<sup>(1)</sup>.

والذر صغار النمل، وصغار النمل لا يعبأ به الناس، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون، وكما يبغض الله المتكبرين يبغض أسمائهم التي كانوا يطلقونها على أنفسهم استكباراً واستعلاءً، وتصبح هذه الأسماء التي كانوا يفرحون عند سماعها أنكر الأسماء وأخبثها، وأغیظها على الله<sup>(2)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «أخنع اسم عند الله يوم القيامة، رجل تسمى ملك الأملاك». وزاد مسلم في رواية: «لا مالك إلا الله تعالى»<sup>(3)</sup>.

قال القاضي عياض: أخنع: معناه أشد الأسماء صغاراً. وقال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء، كان من تسمى به أشد ذلاً<sup>(4)</sup>.

#### 5 - الأثرياء المنعمون:

الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمثون إليها، ويكثرون من التمتع بنعيمها، يفتق عليهم يوم القيامة، وإن أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع يكونون أقل الناس أجراً يوم القيامة، ما لم يكونوا بذلوا أموالهم في سبل الخيرات<sup>(5)</sup>، قال ﷺ: «إن المكثرين هم

(1) مشكاة المصابيح (2 / 635) إسناده حسن.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، د. عمر الأشقر، ص: 144.

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 914.

(4) فتح الباري (10 / 589).

(5) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 149.

المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً فنفتح فيه بيمينه وشماله وبين يديه ومن ورائه وعمل فيه خيراً»<sup>(1)</sup>.

#### 6 - فضيحة الغادر:

قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع بكل غادر لواء، فقليل: هذه غدرة فلان بن فلان»<sup>(2)</sup>. وقال ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرة، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة»<sup>(3)</sup>، وأمير العامة هو الحاكم أو الخليفة، وكانت غدرة كذلك لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير، الخليفة، أو لأن الحاكم أو الوالي يملك القوة والسلطان فلا حاجة به إلى الغدر»<sup>(4)</sup>.

والغادر: الذي يواعد على أمر لا يفني به، واللواء: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحق، أو صاحب دعوة الجيش، ويكون الناس تبعاً له، فالغادر ترفع له راية تسجل عليها غدرة، فيفضح بذلك يوم القيامة، وتجعل هذه الراية عند مؤخرته»<sup>(5)</sup>.

#### 7 - غاصب الأرض:

قال النبي ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»<sup>(6)</sup>.

(1) صحيح الجامع الصغير (2 / 165)، رقم: 1950.

(2) صحيح مسلم، رقم: 1735.

(3) المصدر نفسه، رقم: 1738.

(4) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 151.

(5) المصدر نفسه، ص: 151.

(6) فتح الباري لصحيح البخاري (3 / 5).

## 8 - ذو الوجهين :

شر الناس يوم القيامة المتلون الذي لا يثبت على حال واحدة وموقف واحد، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه<sup>(1)</sup>، قال ﷺ: «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»<sup>(2)</sup>.

## 9 - الحاكم الذي يحتجب عن رعيته :

قال ﷺ: «من ولي من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجب دون خلته، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته، وحاجته، وفاقته، وفقره»<sup>(3)</sup>.

## 10 - الذي يسأل وله ما يغنيه :

قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه»<sup>(4)</sup>.

## 11 - من كذب في حلمه :

قال ﷺ: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صب في أذنه الآنك يوم القيامة»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 154.

(2) مشكاة المصابيح (2 / 578) رقمه 4820.

(3) صحيح الجامع الصغير (5 / 368)، رقم: 6471.

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 499.

(5) فتح الباري (12 / 427).

خامساً: حال الأتقياء:

1 - لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون:

إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر:

- قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ  
السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمَرُ: 61].

- وقال الله تعالى لهم تطمينا لقلوبهم: ﴿بِعِبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
أَلَيْمٌ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿﴾  
[الزخرف: 68، 69].

- وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَزْوَاجَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: 62 - 64].

أما البشرى في الحياة الدنيا فتطلق على أمرين: على تبشير  
الملائكة للمحتضر بالجنة - وتقدم دليل هذا - وتطلق على الرؤيا  
الصالحة<sup>(1)</sup>، فقد قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا:  
وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»<sup>(2)</sup>.

وأما البشرى في الآخرة فهي تلقى الملائكة لهم لتثبيت قلوبهم  
وتأمينهم من الفزع الأكبر، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 279.

(2) البخاري، ك المبشرات، رقم: 6589.

وَنَلَقَّاهُمْ الْمَلٰٓئِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾  
[الأنبياء: 103].

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا مَنَّا وَهُمْ مِنْ فِرْعَ بِوَيْدٍ  
مَّامُونٌ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: 89].

2 - بياض وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيِّضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحِمَهُ اللَّهُ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: 107].

- قال تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿١٣٨﴾ صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿١٣٩﴾﴾  
[عبس: 38، 39].

مسفرة: قيل مشرقة، وقيل: مضيئة، وقيل: مستنيرة وكلها  
متقاربة في المعنى، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك<sup>(1)</sup>.

3 - الذين يظلمهم الله في ظله:

قال ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام  
العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد،  
ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة  
ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى  
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(2)</sup>.

(1) لسان العرب ابن منظور (4 / 369) معجم مقاييس اللغة (3 / 182).

(2) البخاري مع فتح الباري (2 / 143)، مسلم، رقم: 103.

والإظلال في ظل العرش ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم، وقد جمع ابن حجر العسقلاني الخصال التي يظل الله أصحابها في كتاب سماه: معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال<sup>(1)</sup>.

ومن هذه الخصال إنظار المعسر أو الوضع عنه، قال ﷺ: «من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «من نفس عن غريمه أو محاه عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»<sup>(3)</sup>.

#### 4 - الذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خلتهم:

من أعظم ما يفرج كربات العبد في يوم القيامة سعي العبد في الدنيا في فكّ كربات المكروبين، ومساعدة المحتاجين والتيسير على المعسرين<sup>(4)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسرّ عن معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(5)</sup>.

(1) فتح الباري (2 / 144).

(2) صحيح مسلم، رقم: 3006.

(3) صحيح الجامع (4 / 364)، رقم: 1452.

(4) اليوم الآخر القيامة الكبرى، ص: 161.

(5) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (1 / 71)، رقم: 204.

## 5 - الذين ييسرون على المعسرین :

قال النبي ﷺ: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا»، قال: فلتقي الله فتجاوز عنه<sup>(1)</sup>.

## 6 - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا :

العادلون يوم القيامة في مقام رفيع، يجلسون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، قال رسول الله: «إن المقسطين عند الله على منابر، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يدي يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا»<sup>(2)</sup>.

## 7 - الشهداء والمرابطون :

قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الباقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتي وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه»<sup>(3)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «رباط يوم خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمِنَ من الفرع الأكبر»<sup>(4)</sup>.

(1) مشكاة المصابيح (2 / 108)، رقم: 2899.

(2) صحيح مسلم (3 / 1458)، رقم: الحديث 1827.

(3) مشكاة المصابيح (2 / 358)، رقم: الحديث 3834.

(4) صحيح الجامع الصغير (3 / 171)، رقم: الحديث 3473.

## 8 - الكاظمون الغيظ :

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ فِي الطَّرَافِ وَالضَّرَائِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: 133، 134].

وقال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً، وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور العين شاء»<sup>(1)</sup>.

## 9 - عتق الرقاب المسلمة :

قال تعالى: ﴿ فَلَا أَفْئَمَّ الْעِيقَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعِيقَةُ ﴿١٢﴾ فَكِّرْ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ ﴾ [البلد: 11 - 13].

فمن الأعمال الكريمة التي يتمكن صاحبها من اقتحام العقبات الكأداء في يوم القيامة، عتق الرقاب<sup>(2)</sup>.

## 10 - فضل المؤذنين :

قال رسول الله ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»<sup>(3)</sup>، وطول العنق جمال، ثم هو مناسب لما قاموا به من عمل

(1) مشكاة المصابيح (2 / 631)، رقم: 5088.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 166.

(3) صحيح مسلم (4 / 290)، رقم: الحديث 387.

حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة<sup>(1)</sup>.

### 11 - الذين يشيرون في الإسلام:

قال رسول الله ﷺ: «من شاب شبيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

### 12 - فضل الوضوء:

عن أبي هريرة ؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يُدعون يوم القيامة غرّاً محجلين من آثار الوضوء»<sup>(3)</sup>.

غرّاً جمع أعر، أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ وقوله: (محجلين) من التحجيل، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحجل - بكسر - الحاء وهو الخلل، والمراد به هنا أيضاً النور<sup>(4)</sup>، وهذه الغرة وذلك التحجيل تكون للمؤمن حلية في يوم القيامة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 169.

(2) صحيح الجامع الصغير (5 / 304)، رقم: 6183.

(3) فتح الباري على صحيح البخاري (1 / 235).

(4) المصدر نفسه (1 / 236).

(5) مشكاة المصابيح (1 / 96)، رقم الحديث: 291.

وبهذه الحلية يعرف الرسول ﷺ أمته بين الخلائق لا فرق بين أصحابه وغيرهم<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثالث

#### الشفاعة

الشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة<sup>(2)</sup>.

أولاً: الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوت الشفاعة:

1 - قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

[255].

2 - وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: 3].

3 - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28].

4 - وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109].

5 - وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾

[التجم: 26].

6 - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ [الزخرف: 86].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي:

(1) اليوم الآخر، يوم القيامة، ص: 172.

(2) الشفاعة عند المثبتين والنافين، د. عفاف بنت حمد عبد العزيز الوئيس، ص: 354.

الأصنام والأوثان ﴿السَّفَعَةَ﴾ أي لا يقدرّون على الشفاعة لهم. ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٨١)، هذا استثناء منقطع أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، فهذه الآيات تدل على الشفاعة المثبتة بشروطها<sup>(١)</sup>.

وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم كفار فمنها:

1 - قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: 51].

2 - قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

والمراد بالظالمين هنا الكافرون، ويشهد لذلك مفتاح الآية إذ هي في ذكر الكافرين<sup>(٢)</sup>.

3 - قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ السَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 44].

وقد ورد ذكر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها:<sup>(٣)</sup>

1 - قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها

(1) الشفاعة عند المثبتين والنافين، ص: 354.

(2) المصدر نفسه، ص: 355.

(3) المصدر نفسه، ص: 257.

فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

2 - قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي

- وذكر منها - وأعطيت الشفاعه»<sup>(2)</sup>.

3 - وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ...

وأول شافع وأول مشفع»<sup>(3)</sup>.

ثانياً: أقسام الشفاعه في الآخرة:

تنقسم الشفاعه في الآخرة إلى:

1 - الشفاعه الصحيحه:

هي ما جمعت شروط الشفاعه الثلاثة:

- رضی الله عن الشافع.

- رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعه العظمى في الموقف

عامه لجميع الناس من رضي الله عنهم، ومن لم يرض عنهم.

- إذنه في الشفاعه.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي

شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضِيَ ﴾ [النجم:

.126]

(1) مسلم، رقم: 200.

(2) مسلم، رقم: 521.

(3) مسلم، ك الفضائل (4 / 1782).

## 2 - الشفاعة الباطلة :

هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله كما قال تعالى: ﴿وَيَسْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18] ، ولكن هذه الشفاعة بالله لا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ [المدثر: 48] .

- ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ﴾ [الزمر: 43].

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ يَمْلِكْ أَسْمَواتُ وَالْأَرْضُ نُدَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [الزمر: 44] .

## ثالثاً: شروط الشفاعة:

ثلاثة وهي ظاهرة في كتاب الله ﷻ لمن تأملها وهي كالتالي:

## 1 - رضی الله عن الشافع:

- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ﴿١٠٩﴾ [طه: 109] .

## 2 - رضی الله عن المشفوع له:

- قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشِيَتِيهِ مُتَوَقِّفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنبياء: 28] .

3 - إذن الله بالشفاعة:

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255]. هذا وقد جمع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَكَرَّمْنَا مَلَائِكَةَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ [النجم: 26] فقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ هذا شرط الإذن.

وقوله: ﴿وَيُرِضَى﴾، فلم يذكر متعلق الفعل (يرضى) فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع؟ والقاعدة تقول: حذف المتعلق يفيد العموم<sup>(1)</sup>.

إذن فالآية تدل على المعنيين، فتشمل الرضى عن الشافع وعن المشفوع، وهو المطلوب<sup>(2)</sup>.

وقد وضع رسول الله ﷺ هذه القضية في حديث أنس ؓ في الصحيحين فقال: «فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقول لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود»<sup>(3)</sup>.

(1) قواعد التفسير، لخالد السبت (2 / 597).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 292.

(3) البخاري، رقم: 7002.

## رابعاً: أنواع الشفاعة:

إن للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعات متعددة منها:

## 1 - الشفاعة العظمى:

وهذه الشفاعة من أعظم الشفاعات وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].

وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ «فانطلق فأتني تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد رفع رأسك سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى»<sup>(1)</sup>.

يعني أن من لا حساب عليه من أمة محمد يدخل الجنة مباشرة ولا يمر بما يمر به الناس من أهوال، ثم بعد هذه الشفاعة يبدأ

(1) مسلم، رقم: 194.

الحساب وهذه الشفاعة خاصة بنبينا ﷺ<sup>(1)</sup>.

## 2 - اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «أتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(3)</sup>.

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ فقد قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة»<sup>(4)</sup>.

## 3 - الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم وقد جاء في ذلك بعض الأحاديث، ودليل هذا النوع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى ﷺ في استشهاد أبي عامر ﷺ وفيه: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: واستعملني أبو عامر على الناس ومكث يسيراً ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمّل، وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 299.

(2) مسلم، رقم: 196.

(3) مسلم، رقم: 333.

(4) مسلم، (2 / 585).

رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقلت له: قال: قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبدك أبي عامر» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس». فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً»<sup>(1)</sup>.

وعن أم سلمة ؓ قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وأرفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»<sup>(2)</sup>.

#### 4 - الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعنه أبي طالب ويستدل لهذا النوع بحديث في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب ؓ أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح<sup>(3)</sup> من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>(4)</sup>.

(1) البخاري (8 / 41)، مسلم (4 / 1943).

(2) مسلم (2 / 634).

(3) ضحضاح: ما زق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار: النهاية (3 / 75).

(4) البخاري، رقم: 38883.

وهذه شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج من النار، وإن كان أهون أهل النار عذاباً كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»<sup>(1)</sup>.

### 5 - الشفاعة في أهل الكبائر:

شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً وهذه الشفاعة تتكرر منه صلى الله عليه وسلم أربع مرات<sup>(2)</sup> ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(3)</sup>.

### 6 - الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:

ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يكتون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». فقال عكاشة بن محصن رضي الله عنه: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم»، قال: فقام رجل، فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، رقم: 362.

(2) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، للغنيمي، ص: 292.

(3) سنن الترمذي، رقم: 2435 حسن، صحيح وغريب.

(4) مسلم (1 / 198-197).

7 - شفاعة الرسول في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم:

فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها<sup>(1)</sup>.

خامساً: الشفعاء غير النبي ﷺ:

1 - الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ ﴿التنجم: 26﴾. وفيه دلالة أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَتِي مُشْفِقُونَ﴾ ﴿الأنبياء: 28﴾.

2 - الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون الصالحون:

وهذا النوع قد ثبت بالحديث الطويل لأبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين»<sup>(3)</sup>.

3 - الشهداء:

قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»<sup>(4)</sup>.

(1) اليوم الآخر القيامة الكبرى، ص: 189، فتح الباري (11 / 436).

(2) الشفاعة عند المثبتين والنافين، ص: 412.

(3) مسند الإمام أحمد، رقم: 11488، وسنده صحيح وله شواهد كثيرة في الصحيحين.

(4) صحيح سنن ابن ماجه (2 / 129).

#### 4 - أولاد المؤمنين :

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الجنة بفضل رحمته»<sup>(1)</sup>.

- وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنّة من النار»، فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أو اثنان، قال: «أو اثنان»<sup>(2)</sup>.

#### 5 - القرآن الكريم :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان»<sup>(3)</sup>، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»<sup>(4)</sup>: أي السحرة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: تبارك الذي بيده الملك»<sup>(5)</sup>.

(1) البخاري، ك الجنائز (3 / 95 ، 96).

(2) الموطأ (1 / 235)، جامع الأصول، لابن الأثير (9 / 593) حديث، صحيح.

(3) الغيبة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه.

(4) مسلم (1 / 553).

(5) صحيح ابن ماجه (2 / 216).

## سادساً: الأسباب الجالبة للشفاعة:

تعددت الأحاديث الواردة في ذكر أسباب الشفاعة منها:

## 1 - التوحيد وإخلاص العبادة لله:

- جاء في الحديث قول النبي ﷺ لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله من قلبه أو نفسه»<sup>(1)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»<sup>(2)</sup>.

## 2 - الصيام:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»<sup>(3)</sup>.

## 3 - الدعاء بما ورد عند الأذان:

قال ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً

(1) البخاري، ك العلم (1 / 33).

(2) مسلم، رقم: 200.

(3) الحاكم في مستدرکه (1 / 544) حديث صحيح.

محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

4 - سكنى المدينة والصبر على لأوائها:

قال رسول الله ﷺ: «لا يصبر أحد على لأوائها<sup>(2)</sup> فيموت بها إلا كانت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً»<sup>(3)</sup>.

5 - الصلاة على النبي محمد ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

6 - صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم:

قال ﷺ: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»<sup>(5)</sup>.

- وقال ﷺ: «ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه»<sup>(6)</sup>.

7 - كثرة السجود:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت مع

(1) صحيح البخاري (1 / 152).

(2) لأوائها: أي الصبر على شدائدها وضيق العيش فيها.

(3) مسلم (2 / 1002).

(4) صحيح الجامع، للألباني، رقم: 6233.

(5) مسلم، كالجائز (2 / 654).

(6) مسلم، كالجائز (2 / 655).

رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»: فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»<sup>(1)</sup>.

## المبحث الرابع

### الحساب والميزان والحوض والصراف

ذكر الله ﷻ مشهد الحساب والجزاء فقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

والمراد بالحساب هو أن يقف العباد بين يدي الله تبارك وتعالى، وأن يعرفوا بما عملوا، وأن تحضر أقوالهم، ما صدر منهم في الحياة الدنيا من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وما يستحقونه من ثواب وعذاب، ثم ما كان يتسلمونه من كتب بإيمانهم إن كانوا مؤمنين صالحين، أو بشمالهم إن كانوا طالحين<sup>(2)</sup>.

أولاً: إيتاء العباد كتبهم؛

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَيْرًا﴾ [الانشقاق: 7، 8]. فذكر إيتاءهم الكتب أولاً ثم عقب بحرف الفاء الذي يقتضي الترتيب والتعقيب، فذكر الحساب<sup>(3)</sup>. ويخرج لكل إنسان كتاب مفتوح فيقرأه وإن كان أمياً، لإقامة الحجة عليه.

(1) مسلم، ك الصلاة (1 / 353).

(2) الحياة في القرآن الكريم، أحزمي جزولي (2 / 599).

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 307.

- قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عَقْبِهِ وَنُخْرِجُوهُ لَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿﴾ [الإسراء: 13-15].

وهذا الكتاب يأخذه المؤمن بيمينه من أمامه، وأما الكافر فيأخذه بشماله من خلف ظهره.

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مِمَّا كَتَبْتُ عَلَيْهِ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْآلِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَوْ أَنِّي كَتَبْتُهَا كِتَابِيَّةً ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنِّي كَتَبْتُهَا كِتَابِيَّةً ﴿٢٦﴾ بَلِّغْتَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَخْفَىٰ عَنِّي مَا لِيَّهَ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجِّمِمْ سَلْوَاهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿﴾ [الحاقة: 19-32].

- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ نَسُوفَ يَحْسَابِهِ ﴿٨﴾ وَسَيِّئًا يَسِيرًا ﴿٩﴾ وَنَجَّابًا إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٠﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١١﴾ نَسُوفَ يَدْعُوا تَتُورًا ﴿١٢﴾ وَيَصِلُ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: 7 - 12].

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْعِمِّهِ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿﴾ [الإسراء: 71].

- وقال تعالى: ﴿وَرُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ بِمَا فِيهِمْ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُءُوكَ أَحَدًا ﴿﴾ [الكهف: 49].

- وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥١﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ  
وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۝٥٢﴾ [القمر: 52، 53].

والذين يكتبون هم الملائكة الذين وكلهم الله مع كل إنسان  
يسجلون عليه كل شيء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٦﴾ كِرَامًا  
كَبِيرِينَ ۝١٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٨﴾ [الانفطار: 10 - 12].

- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ  
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ ۝١٧﴾ [يس: 12].

ثانياً: سؤال كل الناس عن أعمالهم،

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أن الكفار يسألون، كقوله تعالى:  
﴿قَوْلِكَ لَسَعَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: 92].

- وقوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ<sup>١٤</sup> إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا  
تَنصُرُونَ ۝٢٥﴾ [الصافات: 24، 25].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا  
وَلْنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ  
۝١٣﴾ وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأَثْقَالَ مَعِ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت: 12، 13].

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشَى مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا  
فَهُمْ يُرْزَعُونَ ۝٨٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا  
أَمَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨٣﴾ [الثلث: 83-84].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ

فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٧٦﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٧٧﴾ أَلَمْ تَكُنْ مَأْيَبِي نُنَالِي عَلَيْكَ فَاكْتُمْنَا بِهَا تَكْذِيبًا ﴿١٧٨﴾ [القصص: 103 - 105].

وأما الآيات التي تدل على أن الكفار لا يستلون كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْتَلُّ عَنْ دُؤَيْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78]. وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْتَلُّ عَنْ دُؤَيْبِهِ إِسْرٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 39]. وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يُؤَدُّنُ لَكُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [المرسلات: 35، 36]. ونحو ذلك من النصوص.

فقال العلماء: إنهم يسألون يوم القيامة في موطن دون موطن، فالقيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك<sup>(1)</sup>.

وقالوا: إن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقرير وتوبيخ، لم عملتم كذا وكذا،<sup>(2)</sup> وإنهم لا يسألون سؤال استفهام، لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يسألون سؤال تقرير، فيقال لهم: لم فعلتم كذا<sup>(3)</sup>.

وقال القرطبي: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْتَلُّ عَنْ دُؤَيْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة أن يقال: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً

(1) تذكرة القرطبي، ص: 286، اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 201، للأشقر.

(2) التذكرة، ص: 286، للقرطبي.

(3) لوامع الأنوار البهية (2 / 174).

أو كان كافراً، لكن المؤمنون يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدور، ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكرويين، فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم<sup>(1)</sup>.

ومن حكمة الله تعالى في محاسبتهم ووزن أعمالهم مع أن أعمالهم حابطة مردودة أمور منها:

### 1 - إقامة الحجة عليهم وإظهار عدل الله فيهم:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْ بِسَاءِ حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

### 2 - أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ يَسَاءَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 30].

- قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [١٦] وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾ [الشعراء: 91، 92].

### 3 - أن الكفار مكلفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها:

لأن الله تعالى قال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [٦] الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ

(1) تذكرة القرطبي، ص: 287، اليوم الآخر، يوم القيامة، ص: 202.

الرَّكَوَّةَ ﴿فصلت: 6، 7﴾. فتوعدهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَرَأَيْتَ نَارَكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْفَٰئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿[المذثر: 42-46]﴾، فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها، مجزيون بها<sup>(1)</sup>.

#### 4 - أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم:

ويحلون في النار بمقدار هذه الذنوب، فالنار درجات بعضها تحت بعض<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿[النساء: 145]﴾ .

ثالثاً: الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة:

العبد يسأل يوم القيامة عن كل شيء فعله، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[التحل: 93]﴾.

- وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿[الحجر: 92، 93]﴾. ولكن هناك بعض الأعمال نص الله تعالى على أن يسأل عنها ليزداد الخوف منها وهي كالتالي:

(1) تذكرة القرطبي، ص: 309، اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 199.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 199.

## 1 - الكفر والشرك :

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشُنْئُهُمْ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ يَغْتَرِبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [النحل: 56] .

## 2 - كذبهم في حق الملائكة :

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ أَنْثَىٰ وَأَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الزخرف: 19] .

## 3 - النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا :

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨﴾ [التكاثر: 8] .

## 4 - العهود والمواثيق :

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34] .

## 5 - العلم والسمع والبصر والفؤاد :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36] .

## 6 - إضلال المضلين للناس :

قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أُنْقَابَهُمْ وَاتَّقَالَا مَعَ أَتْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ أَلْفَيْكُمْ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [العنكبوت: 13] .

7 - الدين ونصرته والقرآن والعمل به :

قال تعالى: ﴿فَأَسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّاكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
وَإِنَّمَا لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 43، 44].

8 - يسأل العبد عن صلاته :

قال ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظر هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»<sup>(1)</sup>.

9 - سيسأل كل عبد عن أشياء :

قال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم»<sup>(2)</sup>.

رابعاً: القواعد التي يحاسب العباد على أساسها:

من هذه القواعد التي ذكرت في القرآن الكريم:

1 - عدل الله التام:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

(1) صحيح الجامع، رقم: 2020.

(2) المصدر نفسه، رقم: 7299.

شَيْئًا وَإِنْ كَانَتْ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَيْنَسْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: 47].

- وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوَاتُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: 54].

- وقال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ إِنَّا إِنْ نَكَرْتُمْ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: 16].

- قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 77].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: 124].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40].

## 2 - لا يتحمل أحد ذنب أحد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِدُ وَازِرَةً وَزْرًا أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْفَلُونَ﴾ [الأنعام: 164].

- وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَا فِي صُحُفٍ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نُزِدُ وَازِرَةً وَزْرًا أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: 36، 41].

3 - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ قَدُودٌ لَّوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَنُحَذِرُكُمْ أَنَّهُ نَفْسُهُ وَاللَّهُ زَعِيمٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: 30].

- وقال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: 49].

4 - مضاعفة الحسنات دون السيئات:

قال تعالى: ﴿إِن تَقْرَؤُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَاعِفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التغابن: 17].

- وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأنعام: 160]. وأما السيئة فلا تجزى إلا مثلها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: 160].

- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]. هذا فضل ضربه الله لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف<sup>(1)</sup>.

(1) تفسير ابن كثير (1 / 561).

ومن فضل الله تبارك وتعالى أن المؤمن الذي يهتم بفعل الحسنة ولكنه لا يفعلها تكتب له حسنة تامة، والذي يهتم بفعل السيئة ثم تدركه مخافة الله، فيتركها تكتب له حسنة كاملة<sup>(1)</sup>، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ، قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعلمها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعلمها، كتبها الله له سيئة واحدة»<sup>(2)</sup>.

#### 5 - تبديل السيئات حسنات:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: 70].

وهذا من رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدل سيئاتهم حسنات.

#### خامساً: إقامة الشهود على الناس:

الله ﷻ لا يحتاج إلى من يخبره عن عبادته أو يشهد عليهم بما فعلوه، إلا أنه سبحانه من كمال عدله وإعذاراً للعالمين أقام عليهم الشهود ونوع تلك الشهود، وكثرها حتى تنقطع الحجج وتخرس

(1) اليوم الآخر، يوم القيامة الكبرى، ص: 211.

(2) فتح الباري (11 / 323)، البخاري، كتاب الرقاق.

الأفواه وتقر الجموع بعدل الله المطلق<sup>(1)</sup>، وهؤلاء الشهود كثر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [مُود: 18].

- قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: 51].

- قال تعالى: ﴿وَاشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ بِالنِّبْتِ وَالشُّهَدَاءُ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: 69].

ومما ذكر في القرآن الكريم من إقامة الشهود على الناس الآتي:

### 1 - شهود الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿١١﴾﴾ [ق: 21] ، أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١٦﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الانفطار: 10 - 12].

فهؤلاء الملائكة الكرام الكاتبون هم الذين يشهدون ويدل عليه الحديث التالي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 335.

(2) المصدر نفسه، ص: 337.

فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال: يقول بلى، قال فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتيبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي، قال: فتتطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل»<sup>(1)</sup>.

2 - شهود الرسل عليهم:

فيشهد كل رسول على أمته وأنه قد بلغهم وبيّن لهم وأزال عنهم الشبهة لثلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

- قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧) ﴿يونس: 47﴾. يعني إذا جاء الرسول يوم القيامة قضى بينهم وسماه الله تعالى شهيداً كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُكُم مِّن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثَمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤) ﴿التحل: 84﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥) ﴿القصص: 75﴾.

(1) مسلم، ك الزهد والرقائق، رقم: 2969.

## 3 - وتشهد أمة محمد على الخلق:

بعد أن تشهد الرسل على أقوالهم، لا تجد هذه الأمم مهرباً إلا بتكذيب رسلها، فيقومون وينكرون ما جاءت به الرسل، ويكذبونهم. كما كانوا يكذبونهم في الدنيا. ويقولون ما جاءنا من نبي، فتقوم أمة محمد. الأمة الوسط. فتشهد للرسل:

- قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَعَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: 78].

- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمه: هل بلغتكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمه، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، والوسط العدل<sup>(1)</sup>.

## 4 - شهود نبينا محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: 78].

(1) البخاري، ك أحاديث الأنبياء، رقم: 3161.

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبَعُثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُبَيِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [التحل: 89].

5 - شهود جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الثور: 24].

- وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: 65].

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسُلُوكُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا لِمَ يُجَادِبُنَا رَبُّكَ وَمَا نَكْتُمُ الَّذِي آتَانَا قُلْ لَمْ يَكُن لَكَ آيَاتٌ أَنْ تُبَيِّنَ لَنَا شَيْءًا ۖ بَلْ أَنتَ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا كُنْتُمْ تُسْمِعُونَ ۚ أَن يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [فضلت: 19-23].

6 - وتشهد الأرض:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ نُحُودُهُمْ أَخْبَارَهَا ﴿١﴾﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: 4، 5].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ نُحُودُهُمْ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن

تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها<sup>(1)</sup>.

7 - أعظم شهيد وأجل شهيد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥﴾

[الأحزاب: 55].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَسْمَعُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: 61].

فبعد أن يشهد الأحياء والجمادات وتنتهي هذه الشهادات تأتي شهادة الله العزيز الحميد جل جلاله وتقدس أَسْمَاؤُهُ<sup>(2)</sup>.

8 - شهودهم على أنفسهم:

إذا رأى العبد الحق وتبين له أن الله لا تخفى عليه خافية ورأى كل ما عمله مكتوباً في صحيفته وقامت عليه الشهود ورأى أنه لا برهان له ولا حجة، أقر واعترف بما جنى واقر<sup>(3)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَلْمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ

(1) سنن الترمذي، ك تفسير القرآن، رقم: 3353، حسن، صحيح غريب.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 340.

(3) المصدر نفسه، ص: 343.

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١١١﴾ [الأنعام: 130].

### سادساً: اقتصاص المظالم بين الخلق:

في ذلك اليوم يُقتص للناس بعضهم من بعض، فالحساب شامل لظلم العبد نفسه، وظلمه لغيره من الناس، وما أعظم خيبة الذي وقع في ظلم الناس، لأن القصاص يومئذ لا يكون بالمال ولا السجن ولا غير ذلك، بل يكون بالحسنات والسيئات<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [111].

- قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه قدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «أندرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»<sup>(3)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 343.

(2) البخاري، ك المظالم، رقم: 2317.

(3) مسلم، ك المظالم، رقم: 2317.

ومن كمال عدل الله تعالى في ذلك اليوم أنه يقتصر للبهائم بعضها من بعض<sup>(1)</sup>، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق: الأنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجماء من القرناء بنطحها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً، فتكون تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَلْتَنِي كَثُّ تُرَابًا﴾ [التَّبَا: 40] <sup>(2)</sup>.

### 1 - عظم شأن الدماء :

من أعظم الأمور عند الله أن يسفك العباد بعضهم دم بعض في غير الطريق الذي شرعه الله تبارك<sup>(3)</sup> وتعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ريجيء الرجل الرجل أخذاً بيد الرجل؛ فيقول: يا رب هذا قتلني؛ فيقول: لم قتلته فيقول: قتلته لتكون العزة لك؛ فيقول: فإنها لي؛ وريجيء الرجل أخذاً بيد الرجل فيقول: أي رب؛ إن هذا قتلني؛ فيقول الله: لم قتلته فيقول: لتكون العزة لفلان؛ فيقول إنها ليست لفلان؛ فيبوء بإثمه»<sup>(4)</sup>.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ريجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة؛ ناصيته ورأسه بيده؛ وأوداجه تشخب دماء فيقول: يا رب؛ سل هذا فيم قتلني حتى يدنيه من العرش»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 344.

(2) أخرجه الحاكم بإسناد صحيح، اليوم الآخر، المطيري، ص: 344.

(3) اليوم الآخر القيامة الكبرى للأشقر، ص: 240.

(4) صحيح الجامع الصغير (6 / 324)، رقم: 7885.

(5) المصدر نفسه (6 / 324)، رقم: 7887.

## 2 - أول ما يقضى بين العباد في الدماء:

ولعظم أمر الدماء فإنها تكون أول شيء يقضى فيه بين العباد، فقد قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»<sup>(1)</sup>.

## سابعاً: الحوض:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْتَرَةَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾﴾  
إِنَّكَ شَانِيَتُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: 1 - 3].

عن أنس بن مالك ؓ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى<sup>(2)</sup> إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي أنفاً سورة فقراً: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْتَرَةَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾﴾ إِنَّكَ شَانِيَتُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾»، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ، عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد النجوم فبختلج<sup>(3)</sup> العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»<sup>(4)</sup>. فقلوه: (عليه حوض) يدل على أن الحوض يتفرع من النهر، ويدل الحديث أيضاً أن الحوض موجود في عرصات يوم

(1) جامع الأصول، لابن الأثير (10 / 436)، رقم: 7968.

(2) أغفى: أي نام نومة خفيفة، أو نرس.

(3) الاختلاج: الحركة والاضطراب.

(4) مسلم، رقم: 53، شرح النووي (4 / 112).

القيامة قبل دخول الجنة، لقوله: «فيختلج العبد منهم» ... وهذا لا يكون في الجنة، لأنهم في الجنة لا يمنعون من شيء يشتهونه<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت الأحاديث النبوية في بيان حوض النبي ﷺ الذي أكرمه الله ﷻ به وهو في عرصات القيامة، وهو غير الكوثر، بل الكوثر يكون مداداً له والذي يتلخص في صفته أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، وماؤه أشد بياضاً من اللبن والورق، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وكيزانه عدد نجوم السماء، ترد عليه أمة رسول الله ﷺ، وهو فرطهم عليه من شرب منه شربة لا يظماً بعدها أبداً<sup>(2)</sup>، ولقد بين لنا رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة الذين يردون على حوضه والذين يُذادون عنه، فيمنعون من الشرب منه، فمن تلك الأحاديث:

1 - عن حذيفة بن اليمان ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي لأبعد من أيلة<sup>(3)</sup> من عدن<sup>(4)</sup> والذي نفسي بيده إنني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغربية عن حوضه» قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟، قال: «نعم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 360.

(2) الباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، د. محمد الزبيدي، ص: 286.

(3) أيلة: مدينة على بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام.

(4) العدن: باليمن.

(5) مسلم على شرح النووي (3 / 136).

2 - قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين قال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم»<sup>(1)</sup>.

3 - وقال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن لم يشرب لم يظماً أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»<sup>(2)</sup>.

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: «هل تدري ما أحدثوا بعدك»، المراد به على أقوال:

أ - إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيمة التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب - إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ إن لم يكن عليهم سيمة الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

ج - إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام،

(1) أي فلا يرد الحوض إلا القليل، لأن الهمل من الإبل قليل بالنسبة لغيره.

(2) مسلم، ك الفضائل (4 / 1793).

وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم ﷺ فيدخلهم الجنة بغير عذاب<sup>(1)</sup>، ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر رحمهما الله تعالى<sup>(2)</sup>.

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي ﷺ: (فأقول أصحابي) أو (أصحابي). بالتصغير، وفي بعضها يقول: (سيؤخذ أناس من دوني) فأقول: يا ربي مني ومن أمتي، وفي بعضها يقول ﷺ: «ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني»<sup>(3)</sup> وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب<sup>(4)</sup>.

وإذا كان النبي ﷺ قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أديبارهم، أو الإحداث في الدين كما في قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>(5)</sup>، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن

(1) شرح صحيح مسلم (3 / 136 ، 137).

(2) المفهم للقرطبي (1 / 504)، فتح الباري (11 / 385).

(3) الروايات في البخاري، ك الرقاق، فتح الباري (11 / 463).

(4) الانتصار للصحب والآل، ص: 354 للزحيلي.

(5) مسلم، ك الفضائل، إثبات الحوض (4 / 1792. 1082).

ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم<sup>(1)</sup>.

فالذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ، فقد تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيئته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك أهل البدع كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس إنكاراً عليهم، لهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها<sup>(2)</sup>، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب من رماهم بالردة والإحداث في الدين والذود عن حوض النبي ﷺ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته ولا يشكل

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 137)

(2) السنة لعبد الله بن أحمد (2 / 420) علي بن أبي طالب، للصلاحي، ص: 684.

على هذا قول النبي ﷺ: «اليردن علي ناس من أصحاب الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»<sup>(1)</sup>، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ، فهؤلاء في علم النبي ﷺ من أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته، ولذا يقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري<sup>(2)</sup>، فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبينهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام<sup>(3)</sup>.

فاللهم ارزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبي ﷺ لا نظماً بعدها أبداً.

#### ثامناً: الميزان:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

(1) البخاري، رقم: 6582.

(2) مسلم، ك الفضائل (5 / 1796).

(3) الإصابة في تمييز الصحابة (1 / 7).

قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر لفظ الوزن والميزان في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين آية، منها خمس عشرة آية خاصة بالبحث على إقامة العدل في ميزان الدنيا، والحذر من التطفيف في الكيل والميزان.. المستوجب لعذاب الله، ومنها ثماني آيات خاصة بالوزن في الآخرة<sup>(2)</sup>.

وقد دلت السنة المطهرة على أن الميزان ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله ﷻ، قال ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لو سعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانه ما عبدناك حق عبادتك»<sup>(3)</sup>.

### 1 - دقة الميزان:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

(1) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص: 359.

(2) الغيبيات في ضوء السنة، د. محمد همام، ص: 345، الحياة في القرآن الكريم (2/

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 656)، رقم: 941.

يخبر تعالى في هذه الآية عن القضاء العادل يوم القيامة بأنه يوازن بين أعمال العباد موازنة دقيقة فيحاسب كلاً على أعماله، ووصف الله تعالى الموازين بالقسط، لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه، فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط، وأكد ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ .

وقد صور القرآن الكريم دقة الموازنة بصورة حسية من مألوف الناس، قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: 8-9].

كما صور الحديث النبوي ذلك الميزان الدقيق العادل بصورة حسية قال ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصى عليه، فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدير به، إذا صائح بصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها، لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان»<sup>(1)</sup>.

## 2 - المؤمنون هم المفلحون:

ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم أن من ثقلت موازينه بأن رجحت من موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات، فأولئك هم الفائزون بالجنة الناجحون من العذاب، فالمؤمنون على تفاوت

(1) مسند أحمد (2 / 222.221)، إسناده صحيح، رقم: 7066.

درجاتهم في الأعمال هم المفلحون، وإن عذبوا على بعض ذنوبهم بمقدارها<sup>(1)</sup>.

وفي ذلك يقول الله في آيات كثيرة منها:

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ ﴿١١١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: 101-105].

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة: 6 - 7].

### 3 - الأعمال التي تثقل في الميزان:

إن كل أعمال البر والطاعة تثقل في الميزان، وتجعل كفة الحسنات راجحة على كفة السيئات، ولكن هناك أشياء تجعل كفة الحسنات ثقيلة جداً، منها<sup>(2)</sup>:

#### أ - حسن الخلق:

قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»<sup>(3)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 608).

(2) رحلة إلى الدا الآخرة، ص: 482.

(3) صحيح الجامع، رقم: 5726.

ب - تسبيح الله وتحميده:

قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان وثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»<sup>(1)</sup>.

ج - الحمد لله:

قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن. أو تملأ. ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو: فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها»<sup>(2)</sup>.

ففي قوله: وسبحان الله والحمد لله تملأن. أو تملأ. ما بين السموات والأرض: سبب عظيم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه<sup>(3)</sup>.

د - احتباس الخيل في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، كان شبعه وريته وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

(1) البخاري، رقم: 6682، فتح الباري (11 / 575)

(2) صحيح مسلم بشرح النووي (3 / 100) كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء.

(3) شرح الأربعين حديثاً النووية، لابن دقيق العيد، ص: 61، 62.

(4) البخاري، رقم: 2853، فتح الباري (6 / 67).

تاسعاً: الصراط:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١﴾  
 ثُمَّ نَحْيِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ٧٢﴾ [مريم: 71، 72].  
 والمراد بالمرور في الآية المرور على الصراط وهو جسر  
 منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون<sup>(1)</sup>.

وعن جابر عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال النبي ﷺ:  
 «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرًا  
 والحديبية» قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى:  
 ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، قال: «الم تسمعيه  
 يقول: ﴿ثُمَّ نَحْيِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا﴾ [مريم: 72]»<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
 وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكَ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
 الْعَظِيمُ ١٢٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِيَلْزِمُنَا الْمَأْمُونَةَ أَمَّنَّا أَنْفَرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ  
 قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْبُ بَاطِنُهُمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ  
 وَظَاهِرُهُمْ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ١٢٧﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ  
 أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ  
 الْغُرُورُ ١٢٨﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمْ النَّارُ  
 هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٢٩﴾ [الحديد: 12 - 15].

لقد كرم الله تعالى المؤمنين يومئذ تكريماً عظيماً، إذ يمرون

(1) شرح مسلم للنووي (16 / 58).

(2) سنن ابن ماجه، ك الزهد، رقم: 4281، سند، صحيح.

على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار متفاوتة، أما المنافقون فلا نور لهم<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التخريم: 8].

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفاً مرة<sup>(2)</sup>.

1 - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

في حديثه الطويل في سياق الشفاعة عن رسول الله ﷺ وفيه: «ثم يضرب الجسر على جهنم؛ وتحل الشفاعة؛ ويقولون اللهم سلم سلم<sup>(3)</sup>؛ قيل: يا رسول الله؛ وما الجسر؟ قال: دحض<sup>(4)</sup> مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسك؛ تكون بنجد بها شويكة يقال لها السعدان؛ فيمر المؤمنون كطرف العين كالبرق؛ وكالريح؛ وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم؛ ومخدوش مرسل؛ ومكدوس في نار جهنم؛ حتى إذا خلص المؤمنون من النار؛ فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنون لله

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 617).

(2) تفسير ابن كثير (4 / 270).

(3) البخاري (2 / 292).

(4) دحض: زلق.

يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه؛ ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به»<sup>(1)</sup>.

## 2 - الأمانة والرحم على جنبتي الصراف:

قال رسول الله ﷺ: «وُتْرَسَل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراف يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق»، قال: قلت: بأبي وأمي، أي شيء كالبرق، قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير وشذّ الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراف يقول: رب، سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وعلى حافتي الصراف كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»<sup>(2)</sup>.

ويا له من موقف يشيب لهوله الولدان.

ها هي الأمانة على الصراف لتقول لكل خائن يمر عليها: أين الأمانة التي ضيعتها؟ .. أين أمانة الطاعة،؟ .. أين أمانة الزوجة والأولاد؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت الإنسان، بل ها هي الرحم تتعلق

(1) مسلم (1 / 167 - 171).

(2) مسلم (1 / 187)، ك الإيمان، رقم: 195.

على الصراط لتقول لكل من قطعها: أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا؟ وماذا ستصنع اليوم أمام تلك الأهوال<sup>(1)</sup>؟

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؛ قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿٢٣﴾ [محمد: 22-24]<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا»<sup>(3)</sup>.

### 3 - تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة:

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون، وذلك بأن يقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الحياة الدنيا، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهاراً أبراراً، ليس لأحد عند الآخر مظلمة ولا يطلب بعضهم بعضاً

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 498.

(2) البخاري، رقم: 4830.

(3) صحيح الجامع للألباني، رقم: 5705.

بشيءٍ من غل وبغض، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ [الأعراف: 43].

قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار؛ فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار؛ فيقتصر لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا؛ حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا»<sup>(1)</sup>.

ثم الناس بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين: نوع تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء أهل الأعراف وهو سور بين النار والجنة<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَّرِوْنُ كَلًّا بِسِمَاتِهِمْ وَكَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمُوا عَلَيْكُمْ لَئِذَا دَخَلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: 46]، ونوع رجحت حسناتهم سيئاتهم هم أهل الجنة.

إن الصراط جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون<sup>(3)</sup>.

#### 4 - عظة المرور على الصراط:

تفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرک على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك

(1) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6535.

(2) الحياة في القرآن الكريم (2 / 619).

(3) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (2 / 192).

شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجلك؟ فأحسست بحدته، واضطرتت إلى أن ترفع قدمك الثانية، والخلائق بين يديك يزلون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه<sup>(1)</sup>.

قال الشاعر:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي	إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى	بأوزار كأمشال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا	فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن	تلقاه العرائس بالغوالي
يقول له المهيمن يا وليي	غفرت لك الذنوب فلا تبالي <sup>(2)</sup>

(1) التذكرة للقرطبي، ص: 332.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 283.